عطف التسوية في القرآن الكريم
بين "أم" و "أو"

التسوية معني قريب من معني : «مهما يكن» . فثمة حكم لاسبيل إلي تغييره سواء وقع حدث ما أوضده وقد يأتي التعبير عن هذا الحكم في صورة الخبر أو الأمر أو النهي . وللوصول إلي عطف التسوية طريقتان :

الأولي : أن يذكر لفظ التسوية ثم تأتي الهمزة داخلة علي أحد الخيارين ثم تتبعها «أم» داخله علي الخيار الثاني المضاد لما سبقه علي حين يكون الحكم قد سبق أو يلحق التسوية بعد إستيفاء التعبير عنها . أما الطريقة الأخري للتسوية فتأتي بتوسط «أو» بين الخيارين المتضادين مع سبق الحكم أو إلحاقه أو تكراره مصاحبا الخيارين كليهما . أما وسيلة إظهار التضاد بين الخيارين فإما أن تكون نحوية بواسطة الإثبات والنفي وإما أن تكون معجمية بواسطة اللفظ وضده وسنري فيما يلي صور عطف التسوية في آيات القرآن الكريم .

أولا : التسوية بلفظ سواءً والهمزة وأم :

١ – بالنفي النحوي : قال تعالي :

«أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون» (البقرة ٦) والحكم : «لايؤمنون» .

«سواءٌ علينا أوعظت أم لم تكن من الواعظين» (الشعراء ١٣٦)

والحكم : «إن هذا إلا خلق الأولين» .

«سواءٌ عليهم أستغفرت لهم أم لم تستغفر لهم » (المنافقون ٦) .

الحكم «لن يغفر الله لهم»

٢ – بالنفي المعجمي : قال تعالي :

«سواءٌ علينا أجزعنا أم صبرنا» (ابراهيم ٢١) الحكم : «مالنا من محيص»

«سواء عليكم أدعوتموهم أم أنتم صامتون» (الأعراف ١٥٣) الحكم : «لايتبعوكم».

والحكم في هذه الأية الأخيرة سابق علي التسوية لأن نص الآية هو : «وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَىٰ لا يَتَّبِعُوكُمْ سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنتُمْ صَامِتُونَ» (الأعراف ١٩٣).

وقد تحل واو العطف محل «أم» بعد لفظ التسوية كما في قوله تعالي :

«سواء منكم من أسر القول ومن جهر به ومن هو مستخف بالليل وسارب بالنهار» والحكم أن الله سبحانه . «عالم الغيب والشهادة الكبير المتعال» وهو سابق علي التسوية أيضا . والتضاد في هذه الآية معجمي لانحوي ذلك للتقابل بين الإسرار والجهر وبين الاستخفاء والظهور .

ثانياً : بلفظ أو :

هنا أيضاً قد يعبر عن التضاد بالنفي النحوي كما في قوله تعالي :

«استغفر لهم أو لا تستغفر لهم» والحكم : «إن تستغفر لهم سبعين فلن يغفر الله لهم».

وقد يكون التضاد بتقابل المعني المعجمي كما في قوله جل شأنه :

«مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا» (البقرة ١٠٦) والجواب : «نأت بخير منها أو مثلها».

« وَإِن تُبْدُوا مَا فِي أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ » (البقرة ٢٨٤) والجواب : «يحاسبكم به الله».

«إِن تُخْفُوا مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ» (آل عمران ٢٩) الجواب : «يعلمه الله».

«إِن تُبْدُوا شَيْئًا أَوْ تُخْفُوهُ» (الأحزاب ٥٤) الجواب «فإن الله كان بكل شيء عليما».

«ولئن متم أو قتلتم» (آل عمران ١٥٨) والجواب « «لإلي الله تحشرون».

«ن يكن غنيًا أو فقيرًا» (النساء ١٣٥) والجواب «فالله أولي بهما».

«إمَّا يبلغنَّ عندك الكبر أحدهما أو كلاهما» (الإسراء ٢٣) .

الجواب «فلا تقل لهما أف ولاتنهرهما».

«قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن» (الإسراء ١١٠) .

الجواب «أياما تدعوا فله الأسماء الحسني».

«إنْ أرادَ بكُمْ سُوءًا أو أرادَ بكُمْ رَحْمَةً» (الأحزاب ١٧) .

ودليل الجواب «فمن يملك لكم من الله شيئا».

«وأسِرُّوا قولَكُمْ أو اجْهَرُوا به» (الملك ١٣) والجواب «إنه عليم بذات الصدور».

وقد يكتنف الجواب جملة التسوية فتكون الجملة معترضة بين جزئي الجواب كما في قوله تعالي :

«هذا عطاؤنا فامنن أو أمسك بغير حساب»(ص ٣٩) فالمعني: هذا عطاؤنا بغير حساب فامنن أو أمسك . وقد يتكرر الجواب فيأتي بعد كل من المتضادين كما في قوله تعالي :

« إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث » (الأعراف ١٧٦) أي أنه يلهث في الحالين والتقدير : «إن تحمل عليه أو تتركه يلهث».

حذف أحد الخيارين ودليل حذفه :

قد تحذف الهمزة ومدخولها قبل «أم» فإذا ذكر الحكم سابقا أو لاحقا عُدَّ دليلا علي المحذوف وقدر المحذوف في ضوء هذا الحكم ونسبت «أم» إلي عطف التسوية . أما إذا لم يذكر الحكم فأقرب ما تدل عليه «أم» هو معني الإضراب وفيما يلي بيان لكل من الأمرين :

"أم" للتسوية :

١ - «أَمْ تُرِيدُونَ أَن تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ » (البقرة ١٠٨) .

سبق ذلك قوله تعالي : «أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلا نَصِيرٍ» (البقرة ١٠٦) فالإلتفات من المخاطب المفرد إلي المخاطبين دليل علي إرادة خطاب الجماعة منذ البداية . فإذا كان الأمر متصلا باعتراض المشركين علي نسخ الآيات أو مطالبتهم بما لايقع في طاقة النبي صلي الله عليه وسلم فإن المعني يكون : أتؤمنون بأن الله هو القادر أم تريدون أن تسألوا رسولكم بما لايقدر عليه كما سئل موسي من قبل والحكم هو قوله تعالي : «وَمَن يَتَبَدَّلِ الْكُفْرَ بِالإِيمَانِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ» (البقرة ١٠٧).

٢ - « أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِن بَعْدِي ...» (البقرة ١٣٣).

سبق ذلك قوله تعالي : «وَوَصَّىٰ بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ » (البقرة ١٣٢) فالمعني أتؤمنون بوقوع هذه الوصية «أم كنتم شهداء» فتنكرون وقوعها.

٣ - «أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطَ كَانُوا هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ» (البقرة ١٤٠) .

سبق ذلك قوله تعالي : «قُلْ أَتُحَاجُّونَنَا فِي اللَّهِ» (البقرة ١٣٩) فهمزة التسوية موجودة هنا فلا داعي لتصيد الخيار الآخر.

والحكم سابق علي ذلك في قوله تعالي : «وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلاَّ مَن سَفِهَ نَفْسَهُ» (البقرة ١٣٠).

٤ - « أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُم» (البقرة ٢١٤) .

سبق ذلك قوله تعالي «كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ

ومُنذرين وأنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه وما اختلف فيه» (البقرة ٢١٣) والمعني والله أعلم «أتكفون عن الخلاف حول الكتاب أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولم يقع بكم ما وقع للأمم السابقة التي اختلفت .

والحكم هو : «تلك أُمَّةٌ قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم» (البقرة ١٣٤).

٥ - « أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين» (آل عمران ١٤٢).

سبق ذلك قوله تعالي : «إن يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله» (آل عمران ١٤٠) فالمعني هو : أترضون هذا البلاء أم حسبتم أن تدخلوا الجنة دون بلاء .

والحكم هو : وليعلم الله الذين آمنوا ويتخذ منكم شهداء ... وليمحص الله الذين آمنوا ويمحق الكافرين (آل عمران١٣٩ - ١٤١).

٦ - « أم لهم نصيب من الملك فإذا لا يؤتون الناس نقيرا أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله » (النساء ٥٣ - ٥٤) .

سبق ذلك قوله تعالي : « ألم تر إلى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت ويقولون للذين كفروا هؤلاء أهدى من الذين آمنوا سبيلا» (النساء ٥١) . فالمعني : أهم أهل لهذا الحكم بالباطل أم لهم نصيب من ملك الله أم يحسدون الناس؟

والحكم : «أولئك الذين لعنهم الله»(النساء ٥٢).

٧ - « أم حسبتم أن تتركوا ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ولم يتخذوا من دون الله ولا رسوله ولا المؤمنين وليجة»(التوبة ١٦) .

سبق ذلك قوله تعالي : «قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم ويخزهم وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين ويذهب غيظ قلوبهم » (التوبة ١٤ - ١٥)

فالمعني : أترون أنكم مكلفون بالقتال أم حسبتم أن تتركوا ...

والحكم : «وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ»(التوبة ١٦).

٨ - «أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا» (الكهف ٩).

سبق ذلك قوله تعالي : «وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا» (الكهف ٨) فالمعني: أهذا أدَلّ علي القدرة وإثارة العجب أم حسبت أن أصحاب الكهف هم العجب .

والحكم : «وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ» (الكهف ٢٣ - ٢٤).

٩ - «أَمْ لَهُمْ آلِهَةٌ تَمْنَعُهُم مِّن دُونِنَا لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ أَنفُسِهِمْ» (الأنبياء ٤٣).

سبق ذلك قوله تعالي : «قُلْ مَن يَكْلَؤُكُم بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ مِنَ الرَّحْمَنِ» (الأنبياء ٤٢) والمعني : أيجدون من خلقه من يكلؤهم أم لهم آلهة تمنعهم .

والحكم : «بَلْ تَأْتِيهِم بَغْتَةً فَتَبْهَتُهُمْ» (الأنبياء ٤٠).

١٠ - «أَمْ أَنزَلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا فَهُوَ يَتَكَلَّمُ بِمَا كَانُوا بِهِ يُشْرِكُونَ» (الروم ٣٥).

سبق ذلك قوله تعالي : «وَإِذَا مَسَّ النَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا رَبَّهُم مُّنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا أَذَاقَهُم مِّنْهُ رَحْمَةً إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ» (الروم ٣٣) فالمعني أن يكفرون بلا برهان أم أنزلنا عليهم سلطانا .

والحكم في صورة وعيد : «لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ فَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ»(الروم ٣٤).

في كل هذه الآيات أعاننا الحكم علي تقدير الخيار المقترن بالهمزة وهو الذي يعدّ مبرراً لاعتبار «أم» علي معني التسوية . أما إذا لم يذكر الحكم فإن أم تكون للإضراب وبخاصة إذا دل السياق علي عدم وجود هذا

الخيار الآخر كما يتضح من سياق الآيات الكريمة التالية .

١ – «أَمِ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ آلِهَةً قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ» (الأنبياء ٢٤) أي بل اتخذوا .

المعروف أنهم اتخذوا الآلهة وليس هناك احتمال آخر ويعزز ذلك المطالبة بالبرهان .

٢ – « أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ أَن يَسْبِقُونَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ» (العنكبوت ٤) أي بل حسبوا .

بدليل قوله تعالي : «ساء ما يحكمون» مما يدل علي وقوع هذا الحكم منهم فلا يوجد خيار آخر .

٣ – « أَمِ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ شُفَعَاءَ قُلْ أَوَلَوْ كَانُوا لَا يَمْلِكُونَ شَيْئًا وَلَا يَعْقِلُونَ» (الزمر ٤٣) .

الدليل علي وقوع ذلك منهم قولهم : «هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِندَ اللَّهِ» (يونس ١٨) فالمعني بل اتخذوا .

٤ – «أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا» (الشوري ٢٤) أي بل يقولون.

يحكي القرآن في أكثر من موضع أنهم قالوا ذلك .

٥ – «أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِّنْ هَٰذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ» (الزخرف ٥٢) أي بل أنا خير .

المعروف أن فرعون قال ذلك أو من شأنه أن يقوله فلا مكان لخيار آخر.

٦ – «أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً» (الجاثية ٢١) أي بل حسبوا ولو لم يحسبوا ما عملوا السيئات وأقاموا علي فعلها .

٧ – «أَمَّنْ هَٰذَا الَّذِي هُوَ جُندٌ لَّكُمْ يَنصُرُكُم مِّن دُونِ الرَّحْمَٰنِ » (الملك ٢٠) أي بل من هذا ؟! فلا ينصر من دون الرحمن ناصر .

٨ – « أَمَّنْ هَذَا الَّذِي يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُ» (الملك ٢١) أي بل من هذا ؟! فالرزق من عند الله ولارازق إلا هو .

وفي كل ذلك قام الدليل إما من السياق أو من تفسير آية أخري علي أن «أم» منقطعة بمعني «بل» أي مفيدة للإضراب .